

من كتاب: تزييف الوعي البشري، وإنذاراته الانقراض (18) بعض فكر يحيى الرخاوي: التكاثر: ربما من الموت يوماً " أَلْمَاكُ  
التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْنَهُ الْمَقَابِرَ "



[yehiatrakhawy@hotmail.com](mailto:yehiatrakhawy@hotmail.com)

نشرة "الإنسان" 2021/07/03

السنة الرابعة عشرة - العدد: 5054

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

### مدخل

تساءلت، ومازلت أتساءل، عن: ما الذى يدفع شخصا ما (دون استثناء نفسى) أن يجمع أكثر من حاجته للأكل والشرب والسكن وبعض الترفيه الممكن فى الزمن المتاح، بالإضافة لما يتيسر له من إمكانية بعض الفعل الحر فى مساحة مناسبة مهما ضاقت؟  
جاءت بعض الإجابات المنطقية (من داخلى وخارجى)، وكان أغلبها فى حدود المعقول، كانت معظم الإجابات تدور حول:

إن الجمع هو بهدف التأمين ضد حوادث الزمن ومفاجآته، قد يكون ذلك مقبولا فى حدود أن يجمع هذا الشخص ضعف ما يحتاج، أو بضعة أضعاف ما يحتاج أو مائة ضعف ما يحتاج. ليكن! لكن ما الذى يجعله يجمع أكثر من ذلك: ألف ضعف، وألف ألف ضعف، ثم أكثر فأكثر وأكثر، مما أعجز عن مجرد تخيل أصفاره على الورق؟

من عمق معين يصعب الفصل بين البحث عن الغذاء و الحرص على توفيره لإرواء غريزة الجوع، وبين البحث عن الأمن، إن عدم الثقة الأساسى Basic mistrust يمثل الجذر الأعمق لكثير من السلوك الاغترابى المتعلق بالجمع المتماذى بغير نهاية.

### من الخبرة المهنية والتقصص

بدأ انتباهى إلى هذا الاحتمال أثناء تأملى فى ظاهرة يصاب بها المريض الوسواسى، نسميها غالبا الجمع التكرارى القهرى، كما يصاب المريض الفصامى بعرض مواز نسميه عرض "التخزين"  
Hoarding. المريض الوسواسى المصاب بالجمع التكرارى لا يكف عن الجمع والتخزين لنوع معين من الأشياء، مع أنه يوقن أنها لا لزوم لها، وأنه لا يحتاجها، وأنه لن يستعملها، وقد يكون ما يجمع نوعا واحدا يركز عليه، وقد يكون أكثر من نوع. مثل هذا المريض يعرف جيدا خطأ وشذوذ ما يفعل، لكن بصيرته لا تنفعه فى أن يمتنع عن هذا الفعل القهرى مهما قاوم، فهو دائما أبدا يعجز عن إيقافه. المريض الفصامى تتجلى فيه ما يكافئ هذه الظاهرة، ولكن دون بصيرة ودون مقاومة. الفصامى المصاب بعرض التخزين قد يجمع كل شئ دون تمييز، ودون سبب واضح، ودون فائدة عادة، فهو قد يجمع غطاء زجاجة كوكاكولا، مع فردة حذاء قديمة، مع فائزة ثمينة، مع صفحات ممزقة من صحيفة مهمة، مع صندوق بلاستيك فارغ، مع قطعة جبن جافة، ثم إنه - خاصة إذا كان من نوع الفصامى المتفسخ - قد يجمع كل ذلك ويخزنه بطريقة عشوائية فوضوية تمتد من تحت السرير إلى فوق الصوان، ومن وراء الباب إلى جوار

تساءلت، ومازلت أتساءل، عن: ما الذى يدفع شخصا ما (دون استثناء نفسى) أن يجمع أكثر من حاجته للأكل والشرب والسكن وبعض الترفيه الممكن فى الزمن المتاح، بالإضافة لما يتيسر له من إمكانية بعض الفعل الحر فى مساحة مناسبة مهما ضاقت؟

إن الجمع هو بهدف التأمين ضد حوادث الزمن ومفاجآته، قد يكون ذلك مقبولا فى حدود أن يجمع هذا الشخص ضعف ما يحتاج، أو بضعة أضعاف ما يحتاج أو مائة ضعف ما يحتاج. ليكن! لكن ما الذى يجعله يجمع أكثر من ذلك: ألف ضعف، وألف ألف ضعف، ثم أكثر فأكثر وأكثر، مما أعجز عن مجرد تخيل أصفاره على الورق؟

المريض الوسواسى المصاب بالجمع التكرارى لا يكتف عن الجمع والتخزين لنوع معين من الأشياء، مع أنه يوقن أنها لا لزوم لها، وأنه لا يحتاجها، وأنه لن يستعملها، وقد يكون

المدفأة. المهم أن هذا الفصامي قد يصاب بهياج عارم إذا ما اقترب أحد من حجرته مثلا للتخلص من بعض ما يشوهها، أو حتى مما تعفن فيها، وهو قد يثور نفس الثورة إذا ما حاول أحدهم مجرد تغيير موضع شيء مما جمعه وخرّنه.

في كثير من هذه الحالات نكتشف عمق "عدم الأمان"، ونحن نكتشف عدم الثقة والرعب المتجدد أبداً، رعباً كامناً لحوماً ليس من عدوّ مهاجم بذاته، وإنما هو خوف من نفاذ ما يملك من زاد (أو ما يعادله)، مما يترتب عليه تصوره أنه إذا ما نقص ما عنده أى نقصان، ولو كان رمزياً، فهو الهلاك، ومن ثمّ تتقدّ بداخله معاشة باطنية، تندرّه طول الوقت "من الموت جوعاً!!".

هل يمكن أن يكون وراء الاستحواذ على السلطة وجمع المال بلا نهاية عند الأسوياء، نفس الرعب من الموت جوعاً، تماماً مثل الوسواسى أو الفصامى؟

### من لحظة إشراق خاطفة

ذات لحظة، وبدون سبب، وبلا أزمة خاصة، ضببت نفسى متلبساً بهذا الخوف (من الموت جوعاً). كان ذلك خلال إحدى أسفارى الطويلة البعيدة. أتاحت لى هذه اللحظة آنذاك أن أرجح أن هذه المسألة كامنة داخل أعماق الإنسان، بغض النظر عن تجلياتها الصريحة أو الرمزية فى حالات المرض، ربما كان هذا الخاطر هو الذى جعلنى أفرّد فصلاً بأكمله باسم "الجوع" فى الترحال الثالث من ترحالاتى، (ما بين السيرة الذاتية وأدب الرحلات).<sup>(3)</sup>

رجعت إلى هذا الفصل وأنا أكتب هذا المقال فإذا بى قد جمعت فيه كثيراً مما نضح منى وتسمّى باسم "الجوع" مباشرة أو مجازاً، وإن كان تجريداً لجوع أعمق إلى "الأخر" تمثل لى شعراً مثل:

.... "أنا ما طرقت الباب إلا بعد أن نادتك كل خلايا جوعى.

جوعى إلى عين ترانى،

جوعى إلى أمى تهذؤنى،

جوعى إلى بنتى تزلمنى تذرئى" ...

اكتشفت أننى قبل ذلك بسنوات طويلة خاطبت ابنى الأكبر فى نهاية قصيدة إليه قائلاً:

.. "أعذرنى ولدى أتضوّر جوعاً متّهماً بالبطنة"<sup>(4)</sup> ...

وفى موقع آخر وجدتنى أقول بالعامية (ديوان: أغوار النفس)<sup>(5)</sup> )

... "من كُتّر ما أنا عطشانٌ باخاف أشرب كدّه من غير حساب،

لكنّ كمان:

مش قادر أقول لأه، وأنا نفسى فى ندعة مية من بحر الحنان،

يا هلترى:

أحسن أموت من العطش

ولاً أموت من الغرق؟"

من هذا المنطلق المهنى والشخصى، مع تنويعات تجليات الجوع الذى لا يرتوى والذى يخشى أن يرتوى فى نفس الوقت، تجرأت أن أراجع مسألة "عدم الأمان" هذه، واحتمال اتصالها بغريزة الجوع، ومن ثمّ بضلال "الرعب من الموت جوعاً" لعل هذا أو ذلك أو كليهما يفسر لى بعض ما غمّض من ظاهرة التكاثر الاغترابى، الذى يتميز به سلوك معظم أصحاب المال المتزايد طول الوقت على حساب حرمان الأقر فالأفقر من الحد الأدنى اللازم لمستوى الضرورة للبقاء.

مراجعة

ما يجمع نوعاً واحداً يركز عليه، وقد يكون أكثر من نوع

هذا المريض يعرفه جيداً خطأ وشذوذ ما يفعل، لكن بصيرته لا تمنعه من أن يمتنع عن هذا الفعل القصرى مهما قاوم، فهو دائماً أبداً يعجز عن إيقافه

الفصامى المصاب بعرض التخزين قد يجمع كل شيء دون تمييز، ودون سبب واضح

قد يجمع كل ذلك ويخرنه بطريقة عشوائية فوضوية تمتد من تحته السرير إلى فوق الصوان، ومن وراء الباب إلى جوار المدفأة. المهم أن هذا الفصامى قد يصاب بهياج عارم إذا ما اقترب أحد من حجرته مثلاً للتخلص من بعض ما يشوهها، أو حتى مما تعفن فيها

هل يمكن أن يكون وراء الاستحواذ على السلطة وجمع المال بلا نهاية عند الأسوياء، نفس الرعب من الموت جوعاً، تماماً مثل الوسواسى أو الفصامى؟

ذات لحظة، وبدون سبب، وبلا أزمة خاصة، ضببت نفسى متلبساً بهذا الخوف (من الموت جوعاً). كان ذلك خلال إحدى أسفارى الطويلة البعيدة. أتاحت لى هذه اللحظة آنذاك أن أرجح أن هذه المسألة كامنة داخل

أعماق الإنسان، بغض النظر  
عن تجلياتها الصريحة أو  
الرمزية في حالات المرض

.... "أنا ما طرفتكم البابج إلا  
بعد أن نادىك كل خلايا  
جوعى.

جوعى إلى عيني ترائى،  
جوعى إلى أمي تهدئني،  
جوعى إلى بنتي تزلني  
تدثرنى" ...

... "من كثر ما أنا عطشان  
بأفانك أشرب حذك من غير  
حساب،

لكن كمان:  
مش قادر أقول لأف، وأنا  
نفسى فى نذمة مية من بحر  
الحنان،  
يا هلندى:

أحسن أموت من العطش  
ولأ أموت من العرق؟"

مع تنويعات تجليات الجوع  
الذى لا يرتوى والذى يخشى  
أن يرتوى فى نفس الوقت،  
تجربأت أن أراجع مسألة "عدم  
الأمان" هذه، واحتمال اتصالها  
بغريزة الجوع، ومن ثم بظلال  
"الربح من الموت جوعاً"

الغرائز هي الأصل، حافظت  
وتحافظ على الحياة (حتى قبل  
أن تتميز إلى غرائز نوعية  
محددة)، ثم إنه حين اكتسب  
الإنسان الوعى ثم تزين  
بالعقل، لم يتنكر لغرائزه  
بشكل عام، وإن كان قد  
تعامل معها بشكل آخر،  
وبآليات أخرى

ثم إن البعض يتصور أنه

رحت أراجع تطور الغرائز على الوجه التالى:

الغرائز هي الأصل، حافظت وتحافظ على الحياة (حتى قبل أن تتميز إلى غرائز نوعية محددة)، ثم  
إنه حين اكتسب الإنسان الوعى ثم تزين بالعقل، لم يتنكر لغرائزه بشكل عام، وإن كان قد تعامل معها  
بشكل آخر، وبآليات أخرى، لا يصل نشاط غريزة ما -عادة- إلى الوعى البشرى إلا إذا لم يُشبع، يتجلى  
هذا النشاط فى الوعى بشكل مباشر: الشعور بالجوع مثلا، كما قد تتجلى آثاره وبدائله بما يشير إلى كيف  
أن الغريزة قد تتحور، وتتخفى، أو تزاح، وتستبدل كما أنها قد تُشوّه وتتحرف... إلخ

ثم إن البعض يتصور أنه يمكنهم أن ينكروا بعض الغرائز مثلما ينكر بعض غلاة المتطهرين من  
الرهبان وغيرهم نشاط غريزة الجنس، ربما من منطلق أخلاقى أو دينى، حتى حاول بعض هؤلاء المنكرين  
أن يقصروا وظيفته على التنازل دون التواصل، حدث مثل ذلك وأكثر لغريزة العدوان حين أنكر بعض  
الاجتماعيين أن يكون العدوان غريزة أصلا، باعتبار أن الإنسان يمارس العدوان جملة وتفصيلا لظروف  
لاحقة مكتسبة، وهم بذلك ينكرون دور العدوان تاريخا فى الحفاظ على البقاء فضلا عن دوره المحتمل فى  
الإبداع (6) مثل هذا الإنكار نادرا ما ينجح بشكل عام.

إن ما يحدث أكثر فى نفس اتجاه اضطراب التعامل مع غرائزنا، وهو ما يخص هذا المقال عن الجوع  
وتجلياته المباشرة والمجازية، هو أن الغريزة قد تتفصل عن غايتها البسيطة الأولية، أى تتفصل عن فعل  
إشباعها، فتقطع دائرة "النداء فالاستجابة" فتظل الغريزة نشطة أبدا فى دائرة مفرغة، مما يترتب عنه ما  
أسميته "الوجود المثقوب" الذى لا يملأ أبدا مهما وضع فيه (وهو ما يقابل التعبير الشائع: "شرب الماء  
المالح"):

... "يتلمظ بالداخل غول الأخذ،

فأنا جوعان مذ كنت،

بل إنى لم أوجد بعد.

.....

من فرط الجوع التهم الطفل الطفل،

فإذا ما أطلقت سعارى بعد فوات الوقت،

ملكنى الخوف عليكم،

فلقد ألتهم الواحد منكم تلو الآخر دون شبع"

.....

"يا من تغربنى بحنان صادق فلتحذر،

.... إذ فى الداخل: وحشٌ سلبي متحفز،

فى صورة طفل جوعان (8) (7) ..."

هذا الفشل لدائرة "الاحتياج/الإشباع" يحدث فيترتب عليه مضاعفات مباشرة وصريحة مثلما يحدث من  
تكرار العلاقات الجنسية والعاطفية، دون أن تترك إشباعا يغنى عن مواصلة تكرارها اللحوح (ظاهرة  
الدونجوانية)، ومثلما يحدث بالنسبة لغريزة الجوع حين لا يوقفها الشبع أبدا، ومن ثم مضاعفات فرط البدانة  
.. إلخ .

وقد تمتد تجليات هذا الفشل (بين النداء والإشباع) إلى معظم عمليات الأخذ والجمع للاحتواء بالداخل  
(الالتهام الاستحواذى).

يترتب على هذا الفشل غير الطبيعى استثارة غريزة الخوف، وبالذات الخوف من الهلاك، ومن ثم

يتحرك دافع البحث عن الأمان، الذى لا يتحقق أبداً، ما دامت الدائرة تدور.

يتجلى هذا السلوك فى أبلغ صوره فى مجالى جمع الثروة، والاستحواذ على السلطة، كما قد يظهر فى مجال الحب والشوفان وغير ذلك.

### الفرض

الفرض الذى أقدمه فى هذه الاطروحة هو أن ظاهرة التخزين التراكمى أوالتكاثر (التي تكمن وراء الرأسمالية المغترية مثلاً) يمكن أن تفسر كالتالى:

1- إن ثم ضلالاً لا شعورياً عند هؤلاء يهددهم “بالموت جوعاً”.

2- يتبع ذلك رعب لا ينتهى من احتمال الهلاك إذا لم يواصل الإشباع بلا توقف.

3- يتم نتيجة لذلك الفصل بين غريزة الجوع وبين إشباعها، مما يجعل أى مكسب أو أى جمع أو تخزين لا يؤدى وظيفته الحقيقية لسد الحاجة، وبالتالي لا يقلل من الرعب الدائم خوفاً من الهلاك

اغتراب مُهْلِكٌ هنا، وهلاكٌ وارد هناك

لو صح هذا الفرض الذى وضعناه لتفسير الخلل الذى يصيب غريزة الجوع بما هى، والذى يتجلى فى سلوك الاتهام والتخزين والتكاثر على المستوى الفردى، لو صح أن هذا الفصل بين الغريزة وإروائها لا يسمح بالتوقف للنظر فيما جُمِعَ أو تَرَاكَمَ فلم يحقق الشبع أبداً، فإن وظيفة هذه الغريزة تخرج عن نطاق تاريخها لخدمة البقاء، بقاء الفرد أولاً ثم بقاء النوع عامة، لتعمل بلا انقطاع بشكل مباشر وغير مباشر فى كل اتجاه، بلا جدوى، بل بمضاعفات متزايدة، هى الهلاك نفسه، فتصبح سلبية انقراضية تماماً.

### وبعد

ربما كان ذلك فى عمق تصور الكاتب قبل أن يتجسد له هذا التنظير، حين تقمص أحد هؤلاء المنكائرين قائلاً:

أخاف ألتهم،

حسبْتُ أن الثقبَ سوف يلتئم،

أزاحم الأعداد أنتقم،

تلو جبال موج الرعب والنهم،

أغوص فى غيابة الظلام والعدم،

أدوس أشلاء الأجنه،

أرتطم.

تخثر الوعى المغلف بالغباء والندم.

تمزق النغم.

إن نتاج هذا السعار التخزينى المتماذى يتم على حساب حرمان إشباع نفس الغريزة (الجوع) بالحد الأدنى من احتياجاتها عند مجاميع أكثر فأكثر من البشر (عشرات الملايين المتزايدة) مما يترتب عليه ما نعرف من فقرٍ فمجاعةٍ فموتٍ الأصغر والأفقر جوعاً وهزالاً.

الوعى الإنسانى بحركية الغرائز وتطورها

إن التطور الطبيعى للغرائز يتم - أو ينبغى أن يتم - فى اتجاه معاكس تماماً:

مع اكتساب الإنسان مستويات أرقى فأرقى من الوعى، ومع ارتقاء الغرائز وهى تتكامل مع بعضها، يختلف حضور الغرائز فى الوعى بما يترتب عليه اختلاف التعامل معها على مستوى أرقى كما يلى:

يمكنهم أن ينعكروا بعض الغرائز مثلما ينعكز بعض خلاة المتطهرين من الرهبان وغيرهم نشاط غريزة الجنس، ربما من منطلق أخلاقى أو دينى، حتى حاول بعض هؤلاء المنظرين أن يقصروا وظيفته على التناسل دون التواصل

أن الغريزة قد تنفصل عن غايتها البسيطة الأولية، أى تنفصل عن فعل إشباعها، فتنتقل دائرة “النداء بالاستجابة” فتظل الغريزة نشطة أبداً فى دائرة مغترية، مما يترتب عنه ما أسميته “الوجود المثقوب” الذى لا يُملأ أبداً ممما وضع فيه

“يا من تغريبنى بحنان صادق فلتبذر، .... إذ هى الداخِل: وحشٌ سلبي متبذر، فى صورة طفل جوعان...“ (7) (8)

هذا الفصل لدائرة “الاحتياج/الإشباع” يحدث فبترتب عليه مضاعفات مباشرة وصريحة مثلما يحدث من تَكَرُّر العلاقات الجنسية والعاطفية، دون أن تترك إشباعاً يغنى عن مواصلة تكرارها للوجع (ظاهرة الدونجوانية).

قد تمتد تجليات هذا الفصل (بين النداء والإشباع) إلى معظم عمليات الأخذ والجمع للاحتواء بالداخل (الاتهام الاستحواذى).

1- تتطور وظيفة بعض الغرائز حتى تتجاوز وظيفتها الأصلية دون إلغائها، فتصبح وظيفة كثير من الغرائز، إن لم يكن كلها، موجهة "لحفظ النوعية" التي تميز ما هو "إنسان" جنبا إلى جنب مع "حفظ بقاء النوع"، (هذا غير التسامى الفرويدى).

فى بحث سابق (9) للكاتب بين كيف تطورت وظيفة الجنس من التنازل إلى التواصل، وفى بحث أسبق وضع الكاتب فرضا لاحتمال الارتقاء بغريزة العدوان ذاتها (وليس على حسابها أو تساميا بها) إلى الإسهام فى حركية الإبداع.

2- تتكامل الغرائز مع بعضها البعض فيتوارى التناقض الظاهر تدريجيا وباطراد، فلا يعود العدوان بالضرورة ضد الجنس مثلا، (يظهر بعض ذلك فى تجليات المجاز فى الإبداع عامة، والشعر خاصة).

3- يتوسع مفهوم ونشاط ما هو غريزة حتى يمكن أن يتصف سلوك أرقى بأنه غريزة وأن يعامل نفس المعاملة من حيث الوعى به، وآليات تحويره واحتمالات مضاعفات سوء استعماله.. (مثلا: الحديث عن غريزة النزوع إلى التناقص مع الوعى الكونى: غريزة الإيمان (10)).

4- يصبح الوعى بنشاط الغرائز جزءا من الوعى الإنسانى الأرقى، فلا يعود مجرد دراية ومعرفة، بل يصبح إشباعه تحريكا لحيويته لا إطفاء لنشاطه، إذ يتجلى حضورا حركيا خلاقا بما هو فى ذاته.

### الوعى بالجوع ويقين العطش

الفرض المقدم فى هذه الأطروحة يقول بأن الوعى بالغرائز على هذا المستوى الأرقى المشار إليه فى نهاية الفقرة السابقة، هو بديل عن عقلنتها من ناحية، كما أنه يبدو وسيلة لاستبقاء حركيتها الأرقى التى قد تغنى عن ملاحقة الاقتصار على إروائها، ناهيك عن إطلاق سعارها إلى مالا نهاية (نتيجة لانفصالها السابق عن فعل إشباعها مما سبق الإشارة إليه).

فى دراسة نقدية لرواية إدوار الخراط "يقين العطش" (11) تناول الكاتب مناقشة هذا الاحتمال بالتفصيل حيث قام بوضع فروض متلاحقة عن "العطش" الذى تناولته الرواية باعتباره: "جوعا إلى العلاقة بالآخر كموضوع حقيقى" وليس مجرد ميكانيزم ذاتى يصبح المحبوب من خلاله مجرد مجال لإسقاط احتياج المحب، وقد تم تناول هذا الفرض لتوضيح كيف أن "العطش إلى الآخر" (الممتد حتى موضوعية المطلق) هو دافع موجود "ليبقى" وليس فقط "ليرتوى".

استشهد إدوار الخراط ابتداء فى تصدير روايته تلك بقول الجنيد: "... أما من مات على العطش فهو أفضل منهم يقيناً" "أفضل من رجال مشوا على الماء" قرأ الناقد، كاتب هذا المقال، مقولة الجنيد باعتبار أن من "مات على العطش هو من عاش بالعطش".

فكيف يمكن أن نعيش بالجوع والعطش، بدلا من أن نخاف طول الوقت من الهلاك من فرط الحرمان من إشباع أى منهما؟ وبدلا من الوقوع فى دائرة مغلقة نتيجة لانفصال الإشباع عن الوعى وعن نشاط احتياج الغريزة ذاتها؟

### مستويات الوعى بالغريزة

بعد أن بينا كيف أن الغريزة تعمل لاشعوريا أساسا فى الإنسان، نحدد من جديد ما يميز مستويات الوعى، بنشاط أى غريزة، فنفترض لذلك ثلاثة مستويات :

**المستوى الأول:** الشعور بإلحاحها طلبا لإروائها (مثلا: الشعور بالجوع طلبا للأكل)، أو تمهيدا لإرجاء إشباعها للفرصة المناسبة.

**المستوى الثانى:** الشعور بنشاطها الأعم غير المتعلق بإروائها لذاتها مما يترتب عليه احتمال عقلنتها أو إزاحتها (مجازا أو إبدالا أو كليهما) لتشمل الجوع إلى ما لا يؤكل مثل الجوع إلى الشوفان، أو الجوع إلى الحب، أو الجوع إلى الآخر، أو الجوع إلى المعرفة، أو الجوع إلى الحرية. إلخ

يترتب على هذا الفصل نمير الطبيعي استئثاره غريزة الخوف، وبالذات الخوف من الملاك، ومن ثم يتحرك دافع اليحيز عن الأمان، الذى لا يتحقق أبدا، ما دامك الدائرة تدور

يتجلى هذا السلوك فى أبلغ صورته فى مجالى جمع الثروة، والاستحواذ على السلطة، كما قد يظهر فى مجال الحب والشوفان وغير ذلك.

إن نتاج هذا السعار التخزينى المتماهى يتم على حساب حرمان إشباع نفس الغريزة (الجوع) بالحد الأدنى من احتياجاتها عند مجاميع أكثر فأكثر من البشر (عشرات الملايين المتزايد) مما يترتب عليه ما نعرفه من فقر ومجاعة قموية الأصغر والأفقر يوما وهذالا

مع احتساب الإنسان مستويا مع أرقى فأرقى من الوعى، ومع ارتقاء الغرائز وهى تتكامل مع بعضها، يختلف حضور الغرائز فى الوعى بما يترتب عليه اختلافه التعامل معها على مستوى أرقى

تتطور وظيفة بعض الغرائز حتى تتجاوز وظيفتها الأصلية دون إلغائها، فتصبح وظيفة كثير من الغرائز، إن لم يكن كلها، موجهة "لحفظ النوعية" التى تميز ما هو "إنسان" جنبا إلى جنب مع "حفظ بقاء النوع"، (هذا نمير التسامى الفرويدى).

**المستوى الثالث:** الشعور بحركيتها الغامضة المتجددة إذ تشارك في حركية غيرها من الغرائز بعد أن تتقارب معاً نحو التكامل، وهذا يوظف للحبوية والإبداع ضمن الأشباع الذى لا يطفى نشاط الغريزة فى الوعى، بل يجدها لتواصل تكاملها الخلاق مع غيرها.

### الوعى بحركية الغريزة ليس إلحاحاً لإشباعها

هذا المستوى الأخير هو ما أريد التأكيد على وظيفته فى هذه الأطروحة

إن هذا النوع من الوعى بحركية الغريزة، غير الموظف مباشرة لتحقيق إشباعها، وفى نفس الوقت متجاوزاً لعقلنتها، هو إعلان عن طور أرقى من التكامل البشرى حيث أنه يحقق كلا مما يلي:

1- إظهار كيف أن الغريزة عند البشر لا تنشط فقط لمجرد إشباعها بما هى (أى بما تعلن عن طلبه)

2- إن الوعى بحركية غريزة ما، لا ينفصل عن الوعى بحركية غرائز أخرى تنشط معها، دون طلب الإرواء المباشر والفورى.

3- إن الوعى بنشاط الغريزة دون الإلزام بإروائها حالاً، بالطريقة المختزلة، قد يحول دون آلية انفصالها عن إشباعها، (وهو ما أشرنا إلى أنه ما يكمن وراء كل من ضلال الخوف من الموت جوعاً، وما يترتب عليه من سعار التكاثر الاغترابى).

4- إن احتواء نشاط الغرائز معاً، يُنَشِّط التوجه الضام، فى حركية التكامل، فى اتجاه نهاية مفتوحة نحو المطلق.

5- إن مثل هذا التكامل قد يتناسب مع الفرض الخاص بأن النزوع إلى التناغم مع الكون الأعظم (راجع مقولة الجنيد عن "الموت على العطش") هو غريزة تكاملية جيدة.

### الخلاصة

- إن قبول هذا الفرض يجعل تعاملنا مع غرائزنا أرقى وأكثر تناسبا مع مرحلة تطور الإنسان المأمولة، حيث لا يصبح الجنس مثلاً- هو ممارسة مغتربة لذية فحسب أو مسألة معقلنة بديلة، بل يصبح الوعى بالجنس هو إعلان لتوجه نشاط الوعى البشرى نحو قبوله فى توجه إبداعى يسمح بممارسته محتويًا كلا من التنازل والتواصل واللذة والإبداع والتكامل.

- على نفس القياس يمكن تصور أن الجوع، إذا ما عومل على نفس المستوى، فإن ضلالات الخوف من الموت جوعاً المصاحبة لعدم الأمان تقل بشكل أو بآخر مما يترتب عليه الحد من سعار التكاثر.

- إن حل هذا النوع من الوجود المتقرب (شرب الماء المالح) نتيجة لفصل غريزة الجوع عن فعل إروائها، هو لصالح "المغترِب التكاثرى" (صاحب السلطة أو المال، الذى لا يشبع) بقدر ما هو - فى النهاية- لصالح المحروم المهتد بالهلاك، نتيجة للحرمان الأولى.

- إن هذه النقلة لتوظيف الرقى بالغرائز من خلال الوعى الفائق بأبعاد حركيتها فى ذاتها، إذا ما تعمق سلوكيا لصالح النوع البشرى (الهالك اغتراباً، والمهدد بالموت جوعاً، معاً) يمكن أن يصير مُنطَبَعاً بيولوجياً مبرمجاً يعمل لحفظ النوع، ضد ما يهدده من تهادى كل من الاغتراب والمجاعة جميعاً.

\*\*\*\*

- [1] المقتطف من كتاب "تزييف الوعى البشرى، وإنذارات الانقراض" بعض فكر يحيى الرخاوى (الطبعة الأولى 2019) وصورته الأولى كانت مقالات فى (مجلة سطور) (من يوليو 1997 إلى يوليو 2006 + 1) والكتاب متاح فى مكتبة الأنجلو المصرية وفى منفذ مستشفى دار المقطم للصححة النفسية شارع 10، وفى مؤسسة الرخاوى: 24 شارع 18 مدينة المقطم، و يوجد بموقع المؤلف [www.rakhawy.net](http://www.rakhawy.net) وهذا هو

يصبح الوعى بنشاط الغرائز جزءاً من الوعى الإنسانى الأرقى، فلا يعود مجرد دراية ومعرفة، بل يصبح إشباعه تحريكاً لحبويته لا إطفاءً لنشاطه، إذ يتجلى حضوراً حركياً خلاقاً بما هو فى ذاته

الشعور بنشاطها الأعم غير المتعلق بإروائها لذاتها مما يترتب عليه احتمال عقلنتها أو إزاحتها (مجازاً أو إبدالاً أو كليهما) لتشمل الجوع إلى ما لا يؤكل مثل الجوع إلى الشوفان، أو الجوع إلى العجب، أو الجوع إلى الآخر، أو الجوع إلى المعرفة، أو الجوع إلى الحرية. إلخ

الشعور بحركيتها الغامضة المتجددة إذ تشارك فى حركية غيرها من الغرائز بعد أن تتقارب معاً نحو التكامل، وهذا يوظف للحبوية والإبداع ضمن الأشباع الذى لا يطفى نشاط الغريزة فى الوعى، بل يجدها لتواصل تكاملها الخلاق مع غيرها

إن الوعى بحركية غريزة ما، لا ينفصل عن الوعى بحركية غرائز أخرى تنشط معها، دون طلب الإرواء المباشر والفورى

إن الوعى بنشاط الغريزة دون الإلزام بإروائها حالاً، بالطريقة المختزلة، قد يحول دون آلية انفصالها عن إشباعها

إن قبول هذا الفرض يجعل تعاملنا مع غرائزنا أرقى وأكثر

## الرابط

- [2] مجلة سطور: (عدد يونيو 2004 )
- [3] يحيى الرخاوى: الترحال الثالث: "ذكر ما لا ينقال" الفصل الثانى "الجوع" (ص 40 إلى ص 72)
- [4] يحيى الرخاوى: "من باريس للطائف وبالعكس" (ط1 1983) (ط2 2017) "الحاجة والقربان" ص 21
- [5] ديوان أغوار النفس (بالعامية) (ط1 1978) (ط2 2017) قصيدة "الترعة سابت فى الغيطان" ص130
- [6] يحيى الرخاوى: الإبداع والعدوان (الإنسان والتطور) عدد يوليو ص: 49-80 (1980)
- [7] يحيى الرخاوى: "ديوان سر اللعبة" (ط1 1978) (ط2 2017) قصيدة: "جلد بالمقلوب."
- [8] يحيى الرخاوى: "دراسة فى علم السيكوباثولوجى" (1979) ص 299 - 306
- [9] الوظيفة الجنسية: من التكاثر إلى التواصل (كتاب الثقافة العلمية) ص: 105-130
- [10] يحيى الرخاوى "الأسس البيولوجية للدين والإيمان" (قراءة فى الفطرة البشرية) محاضرة أقيمت فى المجلس الأعلى للثقافة بتاريخ 2004/5/18
- [11] يحيى الرخاوى: "صراع الوحدة وجدل العلاقة البشرية انطلاقاً من رواية: "يقين العطش"، منشورات جمعية الطب النفسى التطورى، 2019

تناسباً مع مرحلة تطور الإنسان المأمولة، حيث لا يصبح الجنس مثلاً- هو ممارسة مختربة لذية فحسب أو مسألة معقّنة بديلة

يصبح الوعي بالجنس هو الإعلان لتوجه نشاط الوعي البشرى نحو قبوله فى توجه إبداعى يسمع بممارسته محتويًا كلاً من التناسل والتواصل واللذة والإبداع والتكامل

يمكن تصور أن الجوع، إذا ما تحول على نفس المستوى، فإن خلاصات الخوف من الموت جوعاً المصاحبة لعدم الأمان تقل بشكل أو بآخر مما يترتب عليه الحد من سعار التكاثر

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD030721.pdf>

\*\*\* \*\*

## شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقياً بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2021 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الصدار العاشر)

الشبكة تدخل عامها 21 من التأسيس و 19 على الويب

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

اشتراكات العضوية بموسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

اشتراكات العضوية

عضوية "الشريك الفخري الماسي المميز"

عضوية "الشريك الفخري الماسي"

عضوية "الشريك الشرفي الذهبي"

اهداء العضوية

- عضوية " الشريك الراسخ في العلم " ( عضوية فخريّة )

- عضوية "الشريك المُميّز " ( عضوية الشرفية )

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_category=36&controller=category&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3)